محاضرة

ومضات من شهر الخيرات

فَضِيلَةُ الشَّيْخِ

أ.د: سليمان بن سليم اللّه الرحيلي

غَفَرَ اللّٰهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحمد لله الملك القدوس السلام ذي الجلال والإكرام، أكرمنا بدين الإسلام، وجعل ثواب الصيام تكفير الخطايا والآثام، وجعل مثل ذلك ثوابًا للقيام، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ المعبود الحق عَلَىٰ الدوام، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله، النَّبِيّ الأُسوَة الحسنة الإمام المبعوث رحمةً للأنام، مَن التزم سنته اهتدىٰ واستقام، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما أضاء نهارٌ، أَوْ أقبل الظلام، ورضي الله عن آلِهِ الأطهار الكِّرام وصحابته الخيار الأعلام.

أَمَّا بَعْدُ؛

فيا معاشر الإخوة والأخوات أبشروا بالخير من ربكم، وأحسِنوا الظن بربكم فإن ربكم كريم عند ظن عبده به، فلتظنوا بربكم ما تشاؤون، ولا تستكثروا شيئًا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ كل شيءٍ قدير.

فأتممتم صيام يومكم وفرحتم بفطركم، وأنتم تنتظرون الفرحة الكبرى: بصومكم عند لقاء ربكم، فصليتم فريضة العشاء، ثُمَّ قمتم مع إمامكم، ومَن قام مع إمامه حَتَّىٰ ينصرف كُتِب له أجر قيام ليلة، فيُكتَب له أجر قيام اَللَّيْل كله من أَوْله إِلَىٰ آخره، ثُمَّ تفضل الله عليكم بأمرٍ تزيدون فيه عَلَىٰ غيركم ويُضاف خيرٌ إِلَىٰ خيركم ألا وهو: جلوسكم في بيتٍ من بيوت الله، تستمعون الخير، وتذكرون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وذاك والله فضلٌ عظيم وأجرٌ كريم، «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

فإن لله سياحين يلتمسون أهل الذِّكْر، فإِذَا وجدوا أهل الذِّكْر تنادوا هلموا إِلَىٰ بُغيتكم فيحفونهم حَتَّىٰ يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فيعرجون إِلَىٰ ربهم فيقول لهم سُبْحَانَهُ وهو أَعْلَمُ: من أين جئتم؟ فيقولون: من عند عبادٍ يمجدونك، ويحمدونك، ويذكرونك، فيقول سُبْحَانَهُ: وهل رأَوْني؟ فيقولون: لا، فيقول: كيف لو رأَوْني؟ فيقولون: يكونون أكثر تمجيدًا لك، وتحميدًا لك، وذِكرًا لك،

فيقول الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وما، فيقولون: يطلبون الجَنَّة، فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وهل رأَوْا الجنة؟ فيقولون: لا، فيقول الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: فكيف لو رأَوْا الجَنَّة؟ فيقولون: يكونون لها أكثر طلبًا لها.

فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وَمِمَّا يستجيرونني؟ فيقولون: يستجيرون بك من النَّار، فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وهل رأَوْها؟ فيقولون: لا، فيقول سُبْحَانَهُ: فكيف لو رأَوْها؟ فيقولون: يكونون أكثر استعاذةً منها، وأشد هربًا منها، فيقول الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: أُشهِدكم أني قد غفر لهم، وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مِمَّا استجاروا، فتقول الملائكة: إن فيهم فلانًا خطاء ليس منهم، وَإِنَّمَا جاء لحاجته فجلس معهم، فيقول الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

فأبشروا أَيُّهَا الإخوة بمجلسكم هٰذَا وظنوا بربكم في مجلسكم خيرًا فإن ربكم عَلَىٰ كل شيءٍ قدير، معاشر الإخوة نحمد الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ هٰذَا اللقاء، ونسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا: أن يجعله مِمَّا يسرنا عند لقائه سُبْحَانَهُ.

أَيُّهَا الإخوة إِنَّمَا هي دقائق يسيرة، ولن أُطيل عليكم إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ نعرض فيها ومضاتٍ من شهر الخيرات، إِنَّمَا هي إضاءاتٌ يسيرة لأمورٍ كبيرة في شهرنا هٰذَا.

الومضة الأُولَى: بلوغ شهر رمضان نِعمَةٌ وعِبرة.

فبلوغ شهر رمضان نِعمَةٌ عظمى من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ عبده أن بلغه هٰذَا الشهر، الَّذِي فيه الخيرات العظيمة، والأجور المضاعفة، فكم من مسلمٍ كان يرجو أن يبلغ شهر رمضان لكنه خُطِف قبل أن يبلغ رمضان، وكان من أهل القبور، فالله أكرمك وأنعم عليك وتفضل عليك فبلغك شهر رمضان، فاقدُر هٰذِه النِعمَة قدرها واعتبر بما فيها، فبلوغ شهر رمضان عِبرة.

ففي العام الماضي ودعنا شهر رمضان، وكنا في غاية الحزن لفراقه، وفي غاية الندم عَلَىٰ تقصيرنا، وها نحن اليوم قد تجاوزنا نصف شهر رمضان أتدركون ما هٰذَا أَيُّهَا الإخوة، أتعلمون ما يعني هٰذَا يا أَيُّهَا الإخوة؟ إنه عامٌ مضى من أعمالنا يقربنا إِلَىٰ قبورنا، فنحمل ما قدمنا من خير إن قدمنا، ونحمل أَوْزارنا عَلَىٰ ظهورنا.

فهو عامٌ مضى والعمر محدود، الواحد منا إِذَا مضى عام من عمره يقول زاد عمري سنة، وحقيقة الأمر: أن عمره نقص سنة، واقترب من قبره.

إِنَّـــا لَنَفْـــرَحُ بِالْأَيَّـــامِ نَقْعَطُهَـــا ... وَكُـلُّ يَـوْمٍ مَضَـىٰ يُـدْنِي مِـنَ الْأَجَـلِ
فَاعْمَـــلْ لِنَفْسِـــكَ قَبْـــلَ الْمَـــوْتِ ... فَإِنَّمَـا الـرِّبْحُ وَالْخُسْـرَانُ فِـي الْعَمَـلِ
ومـــــا حالاتُنـــــا إِلَّا ثـــــلاثٌ ... شَـــبَابٌ ثُـــمَّ شَـــيْبٌ ثـــمَّ مَـــوْتُ
وآخِـــرُ مـــا يُسَـــمَّىٰ المـــرءُ شـــيخًا ... ويتلُـــوهُ مِـــنَ الأسْـــماءِ مَيْـــتُ

نظر ميمون ابن مهران يومًا إِلَىٰ جُلسائه من أمثالكم فرأى الشيوخ وقد ابيضت لِحاهم فقَالَ: يا معشر الشيوخ ما يُنتظر بالزرع إِذَا ابيض؟ فقَالَوا: الحصاد، ثُمَّ نظر إِلَىٰ الشباب وقَالَ: يا معشر الشباب إن الزرع قد تُدرِكه آفةٌ قبل أن يستحصد، فنحن دخلنا شهر رمضان هٰذَا العام ونحن فرحين نقول: أهلًا، ومرت الأيام سريعًا، فها نحن جميعًا نقول مهلًا، الواحد منا ينظر إِلَىٰ أخيه ويقول ما أسرع ما مرت الأيام.

وهٰذِه حقيقة الدنيا سريعة الزوال، وإنما العِبْرَة والحقيقة: فيما تجعله في هٰذِه الأيام، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

الومضة الثَّانِية: يا باغي الخير أقبل.

يا مَن تريد الخير وصفًا، ويا من تريد الخير فضلًا أقبل فهٰذَا زمن الخيرات، وهٰذَا وقت الخيرات، وهٰذَا شهر البركات، وهٰذَا شهر الأجور مضاعفات، إن لم تُقبِل اليوم فمتى تُقبِل، الله يجعل ملكًا ينادي من أَوْل ليلةٍ في رمضان حَتَّىٰ يخرج شهر رمضان فينادي في ليلة: يا باغي الخير أقبل، يا باغي الخير أبشِر، ويا باغي الشر أقصر، في كل ليلةٍ من ليالي رمضان حَتَّىٰ ينقضي رمضان.

يا باغي الخير أقبل، يا مَن ملأت قلبك خيرًا، وعزمت عَلَىٰ الخير أقبِل، أعمل، اجتهد، فهٰذَا هو وقت الاجتهاد في العمل، أقبِل عَلَىٰ صيامك فصم لله إيمانًا بالله، وإيمانًا بوعد الله، واحتسابًا لما عند الله، «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»، وصُم صومك، وكن مِمَن يفوز بالصوم، وبأجره، واعلم أنه رُب صائمٍ حظه من صيامه الجوع والعطش.

فأقبل عَلَىٰ القيام وقُم مع الإمام لتفوز بالأجور العِظام، فكما أسلفنا أخبرنا نبينا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ».

✍ واجتهد عَلَىٰ أن تقوم الشهر كله لتفوز بأمرين كريمين عظيمين:

❶ **أولهما:** أنك قمت شهر رمضان، فتدخل في قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

❷ **وثانيهما:** أن مَن قام الشهر كله فقد قام ليلة القدر، فيدخل في قول النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

فأقبل عَلَىٰ قراءة القرآن، فهٰذَا الشهر شهر القرآن، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدارِس النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن في شهر رمضان مرة، فلما كان في آخر عام عارضه القرآن مرتين، وكان إمامنا وقدوتنا وحبيبنا وقرة أعيننا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفرح بمدارسة جبريل له القرآن، ولذلك كان حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المُرسلَة.

فنَبِيُّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جواد، لكنه كان عندما يلقاه جبريل كان أجود بالخير من الريح المُرسلَة، والريح المُرسلَة هي الطيبة الَّتِي تحمل الخير والرحمة، قَالَ العلماء: وذلك لفرحه بمدارسة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ له القرآن، فكن أنت مُقتديًا به صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاجتهد في قراءة القرآن، وكن من أهل القرآن لتكون من الفائزين.

وأقبِل عَلَىٰ الصدقة، وأقبِل عَلَىٰ إطعام الطعام، وأقبِل عَلَىٰ تفطير الصائمين، فهٰذَا الشهر شهر الجود والكرم، فكان النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاقتدي به، أخبرنا نَبِيُّنَا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» وهٰذَا يشمل أيام رمضان.

سمعت من بعض مشايخنا وقرأت لبعض العلماء أنهم يقولون: ينبغي عَلَىٰ المؤمن أن يتصدق في كل يوم، وألا يخلو يومه من صدقة من أجل أن يدخل في دعاء الملك اَلْأَوَّلُ: اللّٰهم أعطي مُنفِقًا خلفًا، ويسلَم من دعاء الملك الثَّانِي: اللّٰهم أعطي مُمسِكًا تلفًا، هٰذَا في سائر الأيام، فكيف في أيام شهر رمضان، وإطعام الطعام من أعظم الصدقات.

والدولة هنا وفقها الله عندها مبادرة في إطعام الطعام، فالمشاركة في هٰذِه المبادرة هي من فضيلة: إطعام الطعام، وإطعام الطعام مع الصيام والقيام، والنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَغُرْفَةً، قَدْ يُرَىٰ ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللهُ لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَلَانَ الْكَلَامَ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»، فقُرِن إطعام الطعام بالصيام وبقيام اَللَّيْل، فاحرص رعاك الله عَلَىٰ أن تكون من هؤلاء المحسنين.

➢ **ومن أعظم إطعام الطعام في رمضان:** تفطير الصائمين، فمَن فطر صائمًا كان له مثل أجره لا يُنقِص ذلك من أجره شيئًا.

وأذكر لكم لطيفةً؛ ذَكَرَ بعض أهل العِلم: أن المقصود من للصائم ليس كسر الصيام فَقَطْ، وَإِنَّمَا يدخل فيه إطعامه في اَللَّيْل كله، فمَن أشبع الصائم فقد فطره، ولو لم يكن ذلك عند المغرب، فلو أن المسلم مثلًا: كان في المسجد فأفطر فأكل تمرًا، وشرب ماءً في المسجد، ثُمَّ رجع إليك وجاء إِلَىٰ بيتك وأطعمته فقد فطرته، وكنت مُفطِرًا صائمًا، وهٰذَا فضلٌ من الله عظيم.

وأقبِل عَلَىٰ العمرة إن استطعت فعُمرةً تعدل حجةٍ مع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفضل والثواب، فَإِذَا اعتمرت في رمضان كأنك حججت مع رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ، تَعْدِلُ حَجَّةً»، فإن لم تستطع أن تعتمر، فاحرص عَلَىٰ مثل هٰذِه المجالس، فاذهب إِلَىٰ المسجد وأنت تريد أن تُعلِم خيرًا، أَوْ تتعلم خيرًا.

فإن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ تَامًّا حِجَّتُهُ»، وفي رواية: «مَنْ غَدَا إِلَىٰ الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ مُعتَمِرٍ تَامًّا عُمْرَتَهُ»؛ أجر عُمرة، أَوْ أجر حجٍ تام وأنت لم تُغادر البلد، فإن عجزت عن أن تذهب ببدنك في عمرة فاحرص أن تسعى إِلَىٰ بيوت الله لتستمع خيرًا أَوْ تُعلِم خيرًا، فاحرص عَلَىٰ جميع وجوه الخير فإنها تدخل في هٰذَا النداء العظيم: يا باغي الخير أقبِل.

الومضة الثَّالِثة: يا باغي الشر أقصِر.

فنداء الملك في كل ليلة: يا باغي الشر أقصِر، يا باغي الشر أمسك عن الشر، فإن لم تُمسِك عن الشر هٰذَا الشهر فمتى تُمسِك؟ يا مَن تريد الملاهي الَّتِي تُغضِب الله، ويا مَن تريد الأمور الَّتِي حرمها

الله أقصِر وأمسِك، قَالَ العلماء: وفي هٰذَا أمرٌ وتهديدٌ؛ في هٰذَا أمْر صريح بالإمساك وتهديد، كأنه قيل: إن لم تُمسِك فانتظر عقاب الله، فأمسك عن كل شر وكن من المفلحين.

الومضة الرابعة: أنت قادر، فأنت قادرٌ عَلَىٰ طاعة الله، وأنت قاعدٌ عَلَىٰ ترك معصية الله.

فمن دروس شهر رمضان: أننا نتعلم بالبرهان أننا قادرون؛ قادرون عَلَىٰ أن نطيع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فليس المقصود بالصيام: أن نُمسِك عن الطعام والشراب فَقَطْ، وَإِنَّمَا المقصود: أن نتعلم أن نُمسِك عما أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ بالإمساك عنه، أن نتعلم كيف نطيع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فأنت قادر عَلَىٰ ترك المعصية، والله مهما تزخرفت المعصية، ومهما تعودت عَلَىٰ المعصية أنت قادر، فليس بينك وبين ترك المعصية سوى عزيمةً صادقة.

ألا ترى أن إخواننا الَّذِين ابتلوا بشرب الدخان لو قيل لأحدهم: في غير رمضان أمسك خمس ساعات لقَالَ: أنت مجنون، أنا رأسي ينفجر، وأنا لا أستطيع، فإِذَا جاء شهر رمضان وصدقت اَلنِّيَّة وعظمة العزيمة يُمسِك عن هٰذَا الدُخان من طلوع الفجر إِلَىٰ غروب الشَّمْس، يستمر لساعاتٍ لو طُلِب منه أن يمسك عن شرب الدخان في غير رمضان نصف هٰذِه الساعات لأبى إيباءً شديدًا، ثُمَّ انظر في حاله أَوْل ما يؤذن المغرب يبادر إِلَىٰ شرب الدخان، فما الفرق بينه في النَّهَار وبينه في اَللَّيْل؟ إنها العزيمة لله.

فكان في نهار رمضان ذا عزيمةٍ يخاف الله فكان قادرًا، فلما أذن المغرب أنحلت عزيمته فسقط خاسرًا، وهكذا نحن جميعًا مع جميع المعاصي، إن صدقت العزيمة والله إننا لقادرون عَلَىٰ أن نتركها، وأن نبتعد عنها، ولكن مصيبتنا في ضعف عزائمنا، فإياك أن تقول: أنا لا أستطيع، بل والله إنك تستطيع، ولكن القضية في عزيمتك، فقوي عزيمتك واعلم أن المصير إِلَىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الومضة الخامسة: زكي نفسك وحَسِن خُلُقك.

فالصيام يُقصَد منه: تزكية النفوس، ويُقصَد منه تنمية التقوى، ويُقصَد منه أن نتعلم التقوى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ألا ترون أَيُّهَا الإخوة أن الصيام يعلمنا: أنه لا فرق بين الخلوة والجلوة، فأحدنا

يرجع من عمله مُتعبًا ربما كان جائعًا، وربما كان عطشٍ شديد، ويرى الماء أمامه وهو وحده في الغرفة فلا يمد يده إِلَىٰ الماء، ولا يمد يده إِلَىٰ الطعام، وإن كان متزوجًا يرى امرأته الحلال أمامه لكنه لا يقرُبها، لِما؟ لأنه يُراقب الله؛ ولأنه يتقي الله.

وهكذا ينبغي أن نكون في حياتنا الله عَزَّ وَجَلَّ يرانا، والله عَزَّ وَجَلَّ يسمعنا، ألا نستحي من الله؟ يُنعِم علينا ونبارزه بالمعاصي، فليس هناك مكانٌ نستطيع أن نختبئ فيه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيرانا في كل مكان، ويعلم خائنة أعيننا وما تُخفي صدورنا، ويسمع كلامنا ولا يختلط عليه كلامنا بكلام غيرنا، ألا نستحي من الله، وألا نجعل الصيام مدرسةً لحياتنا، فنتعلم التقوى ونُزكي أنفسنا، وأيضا نُحسِن أخلاقنا، فشهر رمضان مدرسةٌ للأخلاق.

النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَلْتَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ»، فمقصود الصيام: أن تتعلم الأخلاق، وأن تكون حليمًا، فإن سابك أحد فإنك لا تقابله بالسِباب، وإن جَهِل عليك أحد فإنك لا تقابله بالجهل، وَإِنَّمَا تقول إني صائم إني صائم، والتحقيق أقوال أهل العِلم: إن هٰذَا يُقَالَ بصوت تذكيرًا لنفسك وتذكيرًا لأخيك.

ومعنى هٰذَا: أن الصوم يقتضي منا حسن الخُلُق، وللأسف عكسنا الآية، ففي زماننا الواحد منا يسوء خلقه في رمضان أكثر، وإِذَا قلت له قَالَ: يا أخي أنا صائم، كأن الصوم يقتضي منه أن يكون سيء الخُلُق، وهٰذَا عكس مقصود الشَرعَ من مشروعية الصيام، فلنُحسِن أخلاقنا، ولنعلم أن حُسن الخُلُق دين، وأن مَن زاد عليك في حُسن الخُلُق زاد عليك في الدين، وإن المسلم ليُدرِك بحُسن خلقه درجة الصائم القائم.

الومضة السادسة: ليلةٌ بثلاثٍ وثمانين سنة.

إنها ليلة لكن ليست كأي ليلة، إنها ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر، فهي في بركتها وفضلها وثوابها خيرٌ من ثلاثٍ وثمانين سنة وثُلُث، من ذا الَّذِي يعيش فينا ومنا ثُمَّانين سنة؟ فقَل أن يصل إِلَىٰ الثمانين، فالله جعل لنا في ليلة فضل ثلاث وثمانين سنة وثُلُث ليس فيهن ليلة القدر، ففيها بركة، وفيها فضل، وفيها

ثواب عظيم، فهي ليلة شرف، ليلةٌ تضيق فيها الأرض لكثرة الملائكة، ليلة ضيقة الوقت، فإنما هي ما بين المغرب إِلَىٰ الفجر، لا يلتمسها إِلَّا مُفلِح، ولا يُضيعها إِلَّا محروم.

النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الَّذِي غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يلتمسها ويطلبها، وكان صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتكف ألتماسا لها، فاعتكف العشر اَلْأُوَّل، فلما فرغ منها جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقَالَ: إن الَّذِي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأَوْاسط، فلما فرغ منها جاءه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقَالَ: إن الَّذِي تطلب أمامك، فاعتكف صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشر الأَوْاخر، ولزِم الاعتكاف في العشر الأَوْاخر، فهي ليلةٌ في رمضان.

الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقَالَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، إِذًا هي ليلةٌ في رمضان، والنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين لنا بفعله: أنها في العشر الأَوْاخر، وبين لنا بقوله: أنها في العشر الأَوْاخر، فقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ»، وهي ليلةٌ مُبهَمةٌ في العشر، وتلك رحمةٌ من الله حَتَّىٰ يكثُر الأجر.

فلو أن المسلم حُدِدَت له الليلة لما اجتهد إِلَّا في تلك الليلة، وفاته فضلٌ عظيم، ولو أن الليلة أُطلِقَت في السنة لما اجتهد إِلَّا الخُلَص من عباد الله، بل لو أنها أُطلِقَت في الشهر لما اجتهد إِلَّا القليل، لكن لما كانت في عشر من الأيام المعدودات كان ذلك أيسر عَلَىٰ العباد.

✪ **ولذلك أذكر قضيةً وهي:** أنه لا يجوز نشر الرؤى الَّتِي يُرى فيها أن ليلة القدر هي الليلة الفلانية حَتَّىٰ ينقضي رمضان؛ لأن نشرها يخالف مقصود الشارع، والناس يصدقون الرؤى، ولا سيما إِذَا صدرت مِمَن يُحسَن الظن به.

فإِذَا قيل: أنه والله تواترت الرؤى إنها ليلة: ثلاث وعشرين، لن تجد أحدًا في المساجد إِلَّا مَن رحم الله في ليلة أربعة وعشرين، وخمسة وعشرين، وهٰذَا يخالف مقصود الشارع، ولذلك نشر الرؤى في أثناء العشر يخالف مقصود الشارع ولا يجوز، أَمَّا إِذَا انقضى الشهر فالأمر واسع.

وسبحان الله تأملوا الأدلة يا إخوة وَهٰذِه حِكمَة: فكلما نظرت في الأحاديث كلما مضت ليلة جاءك حديث يُطمِعُك في الليالي الباقية، وهٰذَا السر في تنوع الأحاديث في ليلة القدر، فكلما مضت ليلة حَتَّىٰ لا تتعب النفوس وتهدأ يأتي حديث يُطمِع في الليالي القادمة إِلَىٰ آخر ليلةٍ في رمضان، والأحاديث

يُطمِعُك في ليلة القدر، وهٰذِه الليلة كما أخبر النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُحرَم خيرها إِلَّا محروم، ومَن حُرِم خيرها فقد حُرِم.

الومضة السابعة: لقد أَوْشك أن يودَع.

فشهر رمضان ضيفٌ خفيف سريع الارتحال قد ودعنا نِصفه، ووالله نوشك أن نودعه، وأحب أن أُذكر نفسي وإخواني بحالنا مع رمضان الماضي حينما فوجئنا بانتهائه كيف ندمنا عَلَىٰ تقصيرنا، وكيف عاهدنا أننا إن أدركنا رمضان لن نُقصِر، وسنجتهد وسنفعل، ووالله سينقضي هٰذَا الشهر إن كتب الله لنا بقاء في الدنيا سريعًا، فلنُحسِن فيما بقي، ولنحاسب أنفسنا قبل أن نودعه.

الومضة الأخيرة: كن من المُحسنين، ولا تكونن من المُفلسين، ف كن في شهرك من المُحسنين.

والإحسان في العبادة: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

كن في صيامك صُم كأنك ترى الله، فإن عجزت عن هٰذِه المرتبة فصُم وأنت موقن أن الله يراك، وَقُم ليلك إيمانًا واحتسابًا كأنك ترى الله، فإن عجزت عن هٰذِه المرتبة فَقُم وأنت موقن أن الله يراك، ويعلم ما في قلبك، وهكذا في سائر أعمالك في شهرك، ولا تكونن من المُفلسين، فإن المُفلس يُحسِن ويُتلِف.

قَالَ النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَىٰ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».